

القيم الإنسانية وتمثّلاتها السردية في رواية " بيت خالتي "

لأحمد خيرى العمري

(دراسة تحليلية نقدية)

**Human Values and their narrative representations
in the novel "Bayt khalati" by**

Ahmad khairy AL-Omari.

(A Critical Analytical Study)

أ. يمنى حاج محمد

باحثة ماجستير في كلية الآداب

والعلوم الإنسانية - جامعة حلب

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث دراسة القيم الإنسانية وتمثّلاتها السردية في رواية "بيت خالتي" للكاتب أحمد خيرى العمرى، بوصفها نموذجاً من نماذج الرواية العربية المعاصرة التي اشتبكت مع التحولات الإنسانية العميقة التي أفرزتها الحرب السورية.

يسعى البحث إلى الكشف عن الكيفية التي تُعاد بها صياغة القيم الإنسانية الكبرى: مثل الكرامة، والعدالة، والصبر، والانتماء، والألم داخل البنية السردية للرواية.

ولا تكتفي الرواية بتقديم خطاب أخلاقي مباشر أو توصيف توثيقي للأحداث، بل تسعى إلى إعادة تشكيل القيم الإنسانية داخل نسيجها السردى، عبر شخصيات متعدّدة، من بينها الشخصية الرمادية التي تكشف عن التوتر القيمي والصراع الداخلي الذي يعيشه الإنسان في سياق العنف والانقسام.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع تمثّلات القيم الإنسانية في الشخصيات، كما ركّز البحث على الشخصية الرمادية بوصفها أداة فنية لكشف التوتر والصراع الداخلي، وتوصلت الدراسة إلى أنّ الرواية لا تكتفي بعرض الألم الإنساني؛ بل تعيد إنتاجه بوصفه قيمة دلالية.

وعلى الرغم من تعدّد الدراسات التي تناولت الرواية العربية المعاصرة في سياق الحروب فإنّ معظمها انصبّ على البعد التوثيقي أو السياسي، في حين لازالت الدراسات التي قاربت القيم الإنسانية محدودة، في حين لا تزال الدراسات التي قاربت القيم في الروايات الجامعة بين التخيل والشهادات محدودة، مما يبرز الحاجة إلى دراسة مستقلة تُعنى بتمثّلات القيم الإنسانية في هذا النوع من الروايات بأسلوب تحليلي نقدي شامل.

الكلمات المفتاحية: القيم الإنسانية - الرمادي - الشهادات - السرد.

Abstract:

This research explores the representation of human values in Ahmad Khairi AL-Omari`s novel, " Byet khalaty". it examines how the narrative reformulates core values like dignity, justice, and belonging amidst the profound transformations of the Syrian war.

Using a descriptive – analytical approach, the study focuses on the " grey character" as a tool to reveal internal conflict and moral tension.the research concludes that the novel goes beyond documenting semiotic value. It addresses a gap in current scholarship, which often prioritizes political or documentary aspects over the deeper study of human values in wartime fiction.

Keywords:

Human values – Narrative – The grey character – Testimonials.

المقدمة:

تُعدّ الرواية العربية المعاصرة مرآة عاكسة للتحوّلات الاجتماعية والسياسية والفكرية التي شهدتها العالم العربي في العقود الأخيرة، وقد أسهمت في طرح القضايا الإنسانية الكبرى، ولاسيما تلك المرتبطة بالحرية والكرامة والعدالة والمعاناة الإنسانية. وانطلاقاً من ذلك، برز اهتمام الكتاب بتجسيد القيم الإنسانية في أعمالهم الروائية، بوصفها مكوناً جوهرياً في بناء الخطاب السردي، وأداة فاعلة في التعبير عن هموم الفرد والمجتمع.

تأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على القيم الإنسانية في الرواية "بيت خالتي"، من خلال تحليل نماذج سردية تعبّر عن تجارب إنسانية قاسية، كالألم، وحبّ الوطن، والصراع، والصبر، والعدالة، ولا سيما في سياق الاعتقال والمعاناة النفسية والجسدية.

تسعى الدراسة إلى الكشف عن كيفية تمثّل هذه القيم داخل البنية السردية للرواية، ودور الشخصيات الروائية في تجسيدها، إضافة إلى بيان أثر التجربة الإنسانية في تشكيل الرؤية الفكرية والجمالية للعمل الروائي.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تلامس جانباً إنسانياً حساساً في الأدب العربي المعاصر، وتسهم في إثراء البحث النقدي المتصل بالقيم الإنسانية، عبر مقارنة تحليلية تجمع بين البعد الفني والبعد الإنساني، بما يعزز فهمنا للدور الذي تؤديه الرواية في توثيق المعاناة الإنسانية والدفاع عن القيم الكونية المشتركة.

أهمية الدراسة:

تكمّن أهميّة الدراسة في تسليط الضوء على القيم الإنسانيّة في الرواية في ظلّ التحولات السياسية والاجتماعية القاسية، كما تتجلّى أهميتها في إسهامها في إغناء الدراسات النقدية التي تُعنى بتحليل القيم داخل النصوص السردية، وتسهم في تعميق الوعي للقارئ بأهمية القيم الإنسانية كمرتكز أساسي في الأدب، وتبرز دور الرواية في الدفاع عن الإنسان وقضاياها العادلة، مما يجعلها إضافة نوعية إلى حقل الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لقدرته على تحليل الرواية وأحداثها.

أهداف الدراسة:

- 1-الكشف عن مفهوم القيم الإنسانية في رواية بيت خالتي
- 2-تحليل أبرز القيم الإنسانية في الرواية، مثل حب الوطن، والألم، والصراع، والصبر، والعدالة.
- 3-الوقوف على العلاقة بين التجربة الإنسانية القاسية والبنية السردية للرواية.

إشكالية الدراسة:

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول الكيفية التي عالجت بها الرواية القيم الإنسانية، ولاسيما التجارب القاسية التي يمرّ بها الإنسان، كالألم، والصراع، والاعتقال.

وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل التالي:

كيف تجلّت القيم الإنسانية في رواية بيت خالتي، وما الدور الذي أدّته الشخصيات الروائية في تمثيل هذه القيم داخل البنية السردية؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدّة أسئلة فرعيّة، أبرزها:

- ما أبرز القيم الإنسانيّة التي ركزت عليها الرواية؟

- كيف أسهمت التجربة الإنسانيّة في تشكيل الخطاب السردى؟

أسباب اختيار الدراسة:

- أهمية الموضوع لما له ارتباط مباشر بقضايا الإنسان وهمومه الوجودية والاجتماعية.

- غنى الرواية بالتجارب الإنسانيّة العميقة التي تعكس معاناة الفرد في ظل الأزمات والصراعات.

- قلّة الدراسات التي تناولت القيم الإنسانيّة في هذا النوع من الروايات تناولاً تحليلياً منهجياً.

خطة البحث:

التمهيد: - ملخص عن الرواية

-لمحة عن حياة وأعمال الكاتب أحمد خيرى العمري

الفصل الأول(نظري): مفهوم القيم الإنسانيّة في الرواية العربية المعاصرة.

الفصل الثاني: البعد الإنساني للقيم الإنسانيّة في الرواية

-الشخصيات ودورها في تجسيد القيم

- دور توثيق شهادات المعتقلين بوصفه بُعداً إنسانياً.

- شخصية الرمادي في الرواية

الفصل الثالث: تجلّيات القيم الإنسانيّة في الرواية.

-حب الوطن

-الألم الإنساني

-الصراع

-العدالة والصبر

الخاتمة

التمهيد: ملخص الرواية:

تعدّ رواية بيت خالتي للكاتب أحمد خيرى العمري من الروايات العربية المعاصرة التي تناولت المأساة السورية من منظور إنساني عميق، متجاوزة السرد السياسي المباشر إلى مساءلة القيم الإنسانية في زمن الحرب والقمع. تقوم الرواية على بنية سردية تجمع بين التحقيق النفسي والتوثيق الإنساني، حيث تنطلق أحداثها من حادثة انتحار غامضة تفتح باباً واسعاً على عالم الاعتقال والتعذيب والخذلان الإنساني.

تبدأ الرواية بانتحار أنس خزنجي، شاب سوري لاجئ في ألمانيا، في ظروف تثير الشكوك، ليتولى قريبه يزن غانم الطبيب النفسي مهمة البحث في دوافع هذا الانتحار. وخلال تتبع يزن لتفاصيل حياة أنس ينكشف مشروع كان يعمل عليه، يتمثل في إعداد فيلم وثائقي يوثق شهادات حقيقية لمعتقلين سوريين نجوا من السجون السورية، وهو المشروع الذي يشكل المحور الأساسي للسرد.

-لمحة عن حياة الكاتب:

أحمد خيرى العمري كاتب ومفكر عراقي معاصر، يعدّ من أبرز الأصوات التي جمعت بين السرد الأدبي والفكر الإنساني في الكتابة العربية الحديثة، ينتمي العمري إلى تيار أدبي وفكري يرفض الخطاب المباشر، ويفضل تقديم أفكاره عبر شخصيات إشكالية وصراعات نفسية عميقة، مما يمنح نصوصه بعداً فلسفياً وأخلاقياً. وقد اتّسم أسلوبه بالبساطة الظاهرية والعمق الدلالي. له الكثير من المؤلفات منها في الفكر والدين كالبوصلة القرآنية - السيرة المستمرة.

وأيضاً لديه روايات عدّة منها: شيفرة بلال - ألواح ودر - السادس الأحمر وغيرها.

1- الفصل الأول: مفهوم القيم الإنسانية في الرواية العربية المعاصرة.

"القيم الإنسانية: هي الأخلاقيات والأسس الراقية التي ترعرع عليها الفرد والتي تحدد له القواعد الرئيسية لتعاملاته مع الآخرين ولعلها تتمثل في العدل والحرية والمساواة والعطف والرحمة."¹

تعدّ القيم الإنسانية من المفاهيم المركزية في الخطاب الأدبي، إذ تعبّر عن منظومة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية التي توجّه سلوك الإنسان وتحدّد علاقته بذاته وبالآخرين وبالمجتمع. وتتمثل هذه القيم في مجموعة من المعايير التي يُحتكم إليها في الحكم على الأفعال والمواقف، مثل قيم العدالة والحرية والتسامح والرحمة والتضامن الإنساني.

¹ أمبارك محمد، سعيدي نسيمية. (2024). القيم الإنسانية في رواية الإعصار والمنذنة لعماد الدين الخليل. رسالة ماجستير، الجزائر: كلية الآداب واللغات. الصفحة 33

وقد اهتمت الرواية بتجسيد القيم بوصفها جزءاً من التجربة البشرية. فالرواية ليست مجرد حكاية للأحداث، بل هي فضاء فكري وإنساني يعكس رؤية الكاتب للعالم أو يعالج قضايا المجتمع ويكشف عن الصراعات التي يعيشها الإنسان في مجتمعه، وتتجلى هذه القيم في سياق سردي يعبر عن هموم الإنسان وأسئلته الوجودية والاجتماعية أو الفكرية.

وفي الرواية العربية المعاصرة برز الاهتمام بالقيم الإنسانية بصورة واضحة نتيجة تحولات اجتماعية وثقافية وسياسية شهدتها العالم العربي في العقود الأخيرة. وقد اتجه العديد من الروائيين إلى معالجة قضايا الإنسان العربي، مثل الحرية والعدالة والاعتزاز، ساعين إلى الكشف عن معاناة الفرد في مواجهة الأزمات الاجتماعية والفكرية التي تعدّ مجالاً مهماً لتمثل القيم الإنسانية. ومن هنا يمكن القول إنّ الرواية تسهم في بناء وعي إنساني لدى القارئ، من خلال طرح القضايا الأخلاقية والإنسانية في إطار فني جمالي. وفي ضوء ذلك تأتي دراسة القيم الإنسانية لرواية بيت خالتي للكاتب أحمد خيرى العمري للكشف عن طبيعة القيم التي يطرحها النص الروائي، وكيفية تجليها في البناء السردى، وما تعكسه من رؤية إنسانية وفكرية.

ومن خلال ذلك أشار عبد الملك مرتاض "اليوم الرواية أمرٌ طبيعي إلى حدّ كبير. إنّه زمن التمزق، واليأس، والحروب، والظلم، والغدر، وتطبيق قانون الغاب" ²

² مرتاض، عبد الملك، (1998) في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، الصفحة 67

الفصل الثاني: البعد الإنساني للقيم في الرواية:

تُجسّد رواية "بيت خالتي" منظومة من القيم الإنسانيّة التي تتبع من جوهر التجربة البشرية، حيث تتجاوز الرواية حدود الحكاية السردية لتلامس هموم الإنسان ومعاناته في الواقع الاجتماعي، ويبرز البعد الإنساني في الرواية من خلال تصوير التعاطف مع آلام الإنسان والدعوة للتمسك بالقيم التي تحفظ كرامته. وبوصف الرواية على أنّها نصّاً سردياً يعكس حضور الإنسان وقضاياها التي تتجلى بمجموعة من القيم فتؤكد على حرية الإنسان وحقه في العيش بإنسانية. يرى الناقد غولدمان " إنّ إنسان العالم الحديث يعيش الضياع والاعتراب، في عالم هجره الإله، فلا هو حقّق قيمه الأصيلة في عالم الإثم الكامل، ولا هو استطاع خلق عالم يلقّه النقاء، عالم يشاكل زمن الصفاء الأول." (صفحة 94)³

وهذه الفكرة تنعكس في رواية بيت خالتي، حيث تحاول الشخصيات البحث عن المعنى الإنساني لحياتها وسط تحولات نفسية وإنسانية معقدة.

1-المبحث الأول: الشخصيات ودورها في تجسيد القيم.

1-1 شخصية الراوي (الشخصية المحورية).

شخصية يزن غانم تُجسّد قيم البحث عن الحقيقة والوعي الذاتي ويتجلى ذلك في قوله: " باختصار كانت مراهقتي جحيماً بسبب مقارنتي المستمرة لنفسني مع أنس، ملأنتني بشكوك وعُقد ومشاعر نقص، وربما ساهمت في تحديد مساري المهني فيما بعد" (صفحة 12)⁴ إذ يكشف هذا الاعتراف عن صراع داخلي حقيقي بين قيمة الهوية الفردية وضغط النموذج الآخر، مما يجعل شخصيته أداةً سردية لاستكشاف البعد الإنساني في الرواية وفهم ما يحيط بها من تحولات اجتماعية ونفسية.

³ فايد محمد، 2014، في نظرية الرواية (آراء وإشارات)، مقالة، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي، الصفحة 94
⁴ أحمد خيرى العمري، 2020، بيت خالتي، عصير الكتب، الطبعة 1، الصفحة 12

2-1 شخصية الأم وشخصية الخالة:

شخصية أم يزن شخصية أم أنس " طمني يا يزن تقبرني طمني الله يرضى عليك. (صفحة 26)⁵ تمثل رمزاً للحنان الأسري والتضامن الاجتماعي، تجسد هذه الشخصية التكافل الأسري والاحتواء العاطفي، حيث توفر نوعاً من الأمان النفسي.

3-1 الشخصيات الثانوية:

أنس_ نور_ كنان_ معاذ ساهمت هذه الشخصيات في توسيع أفق القيم الإنسانية داخل الرواية بعضها عبّر عن قيم الصبر والتحمل في مواجهة الظلم والبعض الآخر عبّر عن قيم التضامن والتعاطف. ومن خلال هذا التنوع في الشخصيات، تقدم الرواية صورة إنسانية شاملة تعكس محاربة الظلم وقيمة الحرية في المجتمعات العربية الفاسدة.

" كنت مرتبكاً ومحرجاً كيف يمكن لي أن أتجاذب أطراف الحديث مع شخص في وضع كنان. محكوم بالمؤبد. أضع مهنته وزوجته وحياته".⁶

يتضح من خلال بناء الشخصيات في الرواية أنّ الكاتب لم يكتفِ بسرد الأحداث، بل جعل الشخصيات وسيلة فنية لتجسيد القيم الإنسانية وإبراز أهميتها في حياة الإنسان.

2-المبحث الثاني: دور توثيق شهادات المعتقلين بوصفه بعداً إنسانياً.

يشكل توثيق شهادات المعتقلين في الرواية بعداً إنسانياً مهماً، إذ لا يقتصر السرد على نقل الأحداث، بل يتجاوز ليكشف عن معاناة الإنسان في أقسى ظروفها، فالشهادات التي يقدمها المعتقلون تمثل تجربة إنسانية مؤلمة، تعكس ما يتعرض له الإنسان داخل فضاء المعتقل، الأمر الذي يجعل الرواية وثيقة إنسانية تحفظ ذاكرة الألم والظلم والقمع والمعاناة.

⁵ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 26

⁶ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 88

"وإنّ الصراع الطبقي بين الجماعات البشرية كان له دوراً في تسلل أفكار الجماعات إلى الرواية فصار الاهتمام بمضمونها أكثر من شكلها " (صفحة 314)⁷

ويرى الناقد غولدمان: "العمل الأدبي بوصفه محض نسخة من الواقع الاجتماعي والحياة اليومية وأنّ ما يبحث عنه في هذه الأعمال هو طابعها الوثائقي وليس خصائصها الأدبية." (صفحة 3)⁸

في إحدى الشهادات (الشهادة رقم 12 منير الفقير) " لا أنسى أبداً منظر الجثث المتروكة في حمامات مشفى المزة العسكري..."

الجثث كانت تتزف، أو تفرغ ما فيها من سوائل وفضلات، وكنا نضطر للدخول حفاة إلى الحمام، والمشي فوقها." (صفحة 285)⁹

في شهادة أخرى (شهادة 8 جلال مندو فرع الأمن العسكري - حمص)

"في أول ساعة من اعتقالي في فرع الأمن العسكري، أجلسوني عارياً أمام الزنزانة المنفردة رقم 8، كنت أسمع أصوات استغاثة. شخص يستجد بالضابط وهو يقول له إنّه يشرب بوله. (صفحة 194)¹⁰

يتحول السرد في الرواية إلى فضاء لاستعادة إنسانية المعتقل وإظهار ما تعرض له من ظلم وانتهاك لكرامته. ومن خلال هذا التوثيق تسعى الرواية إلى إحياء الوعي الإنساني لدى

7 علاء طالب عبد الله، موج يوسف محمد، علم الاجتماع الأدب جدلية النقد والسوسيولوجيا مقالة، مجلة مداد للآداب، العراق، العدد 32، الصفحة 315

8 علي عبد الأمير عباس، 2008، منهج علم الاجتماع الأدبي عند لوسيان غولدمان، مجلة آداب البصرة، جامعة البصرة، العدد 47، الصفحة 3

9 أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 285

10 أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 194

القارئ، بحيث لا تبقى معاناة المعتقلين مجرد حوادث عابرة، بل تتحول إلى قضية أخلاقية إنسانية.

شهادة أخرى (شهادة 13 هيثم سقباني)

"تركوني يومين دون طعام، في صباح اليوم الثالث طلبوا مني أن أختار جثة من الجثث لكي أكل لحمها. قلت لهم إنني لا أريد أن أكل أي شيء. تركوني يومين آخرين. جاؤوا وطلبوا مني أن أختار جثة لأكلها رفضت...

كنت متأكداً من أنني سأموت. لا أعرف عدد الجثث التي رأيتها" (صفحة 293\294)¹¹

نستنتج أن السرد في الرواية ليس فقط نقلاً للأحداث بل له دور أساسي في حفظ الذاكرة الإنسانية، لأن الحكاية تمنح التجربة البشرية معنى وتعيد تنظيم أحداثها في إطار دلالي، لذلك فإنّ شهادات المعتقلين في الرواية تؤدي وظيفة إنسانية تتجاوز التوثيق التاريخي، إذ تسهم في بناء ذاكرة سردية إنسانية تحفظ معاناة الإنسان من النسيان.

شهادة رقم 5(هدى اسم مستعار) فرع المداهمة 215

"كانوا يسألونني عن أسماء لشباب وشابات من مخيم اليرموك...

اغتصبوا أمامي فتاة في الصف التاسع، تناوب عليها 6 عساكر في النهاية لم تعد تتحرك، كانت تنزف بشدة فقط...

عُلقتُ بالمروحة لساعات ثم قطعوا الحبل فسقطتُ على الأرض، عندما اغتصبوني.. كنتُ منهكة من التعليق وعندي آلام بسبب السقوط.. لم أقو على المقاومة، لمدة 15 يوماً تعرضت للاغتصاب، في يوم واحد اغتُصبت عشر مرات، كانت إحدى المعتقلات قد حبلت جراء الاغتصاب تم أنجبت في الزنزانة طفلاً خديجاً غير مكتمل النمو ... أطلق السجانون

¹¹ أحمد خيرى العمري ، بيت خالتي، الصفحة293\294

النار عليه أمامها بعد أن وضعته.. وتتأثر رأسه عليها، أصيبت الفتاة بالجنون، وقتلوا لاحقاً للتخلص منها." (صفحة 150)¹²

ومن منظور القيم الإنسانية، يبرز هذا المقطع قيمة الكرامة الإنسانية بوصفها قيمة منتهكة داخل فضاء السجن، حيث يتجلى التناقض الحاد بين إنسانية الضحية وتجرد الجلاد من القيم الأخلاقية. كما يكشف النص عن قيمة التعاطف الإنساني، إذ يدفع القارئ إلى التفاعل الوجداني مع معاناة المعتقلات واستشعار حجم الألم الذي تعرضن له. كما تؤدي هذه الشهادات دوراً مهماً في حفظ الذاكرة الإنسانية. وبذلك تبرز الرواية من خلال هذه المشاهد بوصفها فضاءً أدبياً يكرّس القيم الإنسانية الكبرى مثل العدالة والكرامة والتعاطف ويحوّل الألم الفردي إلى خطاب إنساني يذكر القارئ بضرورة صون إنسانية الإنسان.

3-المبحث الثالث: شخصية الرمادي في الرواية:

في رواية "بيت خالتي" تُعد شخصية الرمادي من الشخصيات الدالة التي تسهم في إبراز البعد الإنساني والأخلاقي داخل الرواية. فالرمادي يحمل دلالة رمزية واضحة لأنه يقع بين الخير والشر، وهذا ما يعكس طبيعة الشخصية التي تقف في منطقة وسطى بين القيم الإنسانية والانخراط في منظومة القمع، وبذلك تجسد الشخصية حالة الازدواج الأخلاقي التي قد يعيشها الإنسان في ظل الأنظمة القمعية.

تمثل رواية بيت خالتي حقلاً غنياً لتحليل ظاهرة الرمادي في المجتمع السوري، إذ تسلط الضوء على تلك الفئة من الأشخاص الذين اختاروا البقاء في منطقة وسطى.

الرمادية في الرواية ليست سلبية خالصة، بل حالة من الحذر والخوف المؤلم، إذ تعكس خوف الشخصية من الانتماء إلى طرف قد يكون خاطئاً أو ظالماً، وفي الوقت نفسه تعكس رغبته في البحث عن يقين داخلي يحرره من التناقضات. ولذلك فإن "الرمادي" في الرواية

¹² أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 150

لا يعني فقط الحياد، بل يشير إلى مرحلة انتقالية فكرية ونفسية، تعيشها الشخصية وهي تعيد بناء وعيها ضمن واقع متصدع.

فمصطلح الرمادي يأخذ حيزاً كبيراً في رواية بيت خالتي ويبدو أنّ الكاتب لم يكتب الرواية ليقرأها أبناء الثورة أو لشريحة النظام وإنما كتبها ليقرأها عامة الناس ومنهم من كان قد اتخذ "اللا موقف" أو موقف الحياد أو اعتبر أن الوضع لا يعنيه. ببساطة "الرمادي" الذي يرى بالنظام ظالماً ولكنه أفضل من الوضع الحالي. يلقي اللوم على السوريين الذين انتقضوا وطلبوا بحقوقهم. الإنسان الرمادي الذي لا علاقة له ولا رأي ولا شأن في السياسة ووضع البلد وما يجري بها. يقول يزن: "حتى في موقعي من الثورة كنت أحاول تبريره بمنطلقات شامية استخدمت أمثالا لكي يبدو موقعي أكثر وجاهة وانسجاماً " حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس "اللي تجوز أمي بقلو يا عمي" لكن ذلك كان يبدو سخيلاً ومتناقضاً عندما يكون النقاش مع متناقضاً عندما يكون النقاش مع الثوار" (صفحة 143)¹³

وأيضاً " وددت أن أعترض وأقول: لست شبيحاً أنا رمادي"¹⁴

ويقول الراوي في مقطع آخر: "سكنت قليلاً كما لو أنها تفكر بما يمكن أن تقوله ولا تقوله أنا رمادي الذي لا موقف حقيقياً له بالنسبة إليها"¹⁵

3- الفصل الثالث: تجليات القيم الإنسانية في الرواية:

3-1 قيمة حب الوطن:

تتجلى قيمة حب الوطن في رواية بيت خالتي بوصفها قيمة داخلية عميقة وليست شعارات سطحية، إذ ينقل الكاتب هذه المحبة من فضاء الخطاب المباشر إلى سياق وجداني وسردي معقد. عبر عن حبه للوطن من خلال الهتاف أو الانتماء الأيديولوجي، بل من البطل في

¹³ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 143

¹⁴ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 39

¹⁵ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 66

الرواية لا من خلال ألمه لما آلت إليه البلاد، وحينه لما كان يمكن أن يكون ومحاولته استعادة المعنى في واقع فقد ملامحه يتخذ حب الوطن في الرواية طابعاً مأزوماً؛ فهو حب مشوب بالخذلان والتمزق، إذ يشعر الراوي بالغبرة داخل وطنه، لكنه لا يستطيع الفكك من ارتباطه الروحي به. وفي هذا السياق، يظهر حب الوطن لا كموقف سياسي، بل كمسؤولية أخلاقية وإنسانية، حيث يصبح الدفاع عن الكرامة، من أشكال الوطنية شكلاً، والحق في التفكير، والحرية الصامتة وبهذا تطرح الرواية حب الوطن كقيمة فردية وجدانية تتجاوز الانتماءات الحزبية، وتعيد تعريفه من خلال تجربة الشخصية في الوعي، والانفصال، ثم العودة الواعية. قيمة حب الوطن هي شعور الحب نحو الوطن والبلد، ولحب الدفاع عن الأمة ضد المستعمرين كان في حب الوطن روح الوطنية وهي الرضا في الأمة والبلد.

مفهوم قيمة حب الوطن أو الوطنية معنيان " وهما قومية (Nasionlasme) وحب الوطن (Patriotismi) القومية هي الفهم أنّ كل أفراد الأمة لابد أن يسلم إلى البلاد والوطن" ص 16 4

وأيضاً "في اللغة العربية يسمى بالوطنية وهي التعلق بالوطن والإخلاص له والتضحية من أجله التي تعني الارتباط بالوطن والمحبة والوفاء والتضحية بالنفس" ص 17 18

وقيمة حب الوطن تمثلت كما وظفها الكاتب من خلال شباب البلد الذين تركوا الدراسة والعمل والتحقوا بالثورة وأولهم أنس الذي ترك دراسة طب الأسنان وخرج مع الثورة وأيضاً نور خالفت منهج أمها ولحقت بالثورة وغيرها مثل كنان ومعاذ.

¹⁶ نصر الدين دلاوي، 2012، القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب الكيلاني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، الصفحة 4

¹⁷ أزهار إسماعيل هاسبيوان، 2022، الوطنية في الرواية رمضان حبيبي لنجيب الكيلاني، جامعة سونن كاليجاكا الإسلامية الحكومية، جاكرتا. الصفحة 18

وفي شهادة 8 جلال مندو فرع الأمن العسكري -حمص- يقول: "الوطن؟ الوطن هو أصدقائي الذين استشهدوا تحت التعذيب أو اختفوا أو تفرقوا بين القارات لم يعد عندي وطن
18»

من خلال المقطع تحول مفهوم الوطن من حيز جغرافي إلى كيان إنساني يرتبط بالأشخاص والذاكرة حيث الأصدقاء الذين استشهدوا أو غابوا جوهر الانتماء.

3-2 قيمة الألم الإنساني:

قيمة الألم هي معاناة حسية وتجربة بغيضة لا يرغب بها الناس، لأنه غالباً ما يكون ناجماً عن أذية لحقت بهم وتسبب لهم ردادات فعل متباينة، لكن الاختلاف قائم في نظرة الإنسان إلى الألم، وطريقة التعامل معه. فالألم إما أن يحطم الإنسان ويفقده قواه وتوازنه فيتحول إلى شخص خائر القوى مسلوب الإرادة يائس بائس، أو يجعل فطرته الشريرة القاسية تقوى فيصبح متلبد المشاعر.

تجسدت قيمة الألم في الرواية عن طريق المعتقلين ومعاناتهم في المعتقل وكمية الألم والعنف الجسدي والنفسي الذين تعرضوا له داخل المعتقلات، وفي ناحية أخرى شهادة الناجية جوري عندما قالت: عندما خرجت لم يكن هناك خدش واحد في جسدي لا أثر ظاهر للتعذيب لكني كنتُ محطمة جثة ممزقة في الداخل شعوري بالذنب يقتلني شعوري بأني أستحق كل ما يحدث كنت أشعر أنّ كل ما أوّمن به خذلني، وأنّ الله تخلى عني.¹⁹

لا يقدّم الألم باعتباره معاناة فردية معزولة، بل بوصفه تمثيلاً لمعاناة جماعية تعبّر عن اختلال البنية القيمية في المجتمع. وتبرز هذه القيمة من خلال توثيق معاناة المعتقلين، حيث يتحول الألم إلى أداة سردية تكشف الواقع القمعي وتفضح آلياته، ومن تطبيقات ذلك في الرواية: شهادة جوري التي قالت: "كنت محطمة جثة ممزقة في الداخل"، "إنّ الألم

¹⁸ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 198

¹⁹ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 332

ليس مجرد ظاهرة فسيولوجية وتشريحية فقط، وإنما هو نتيجة التفاعل بين العقل والجسد والثقافة²⁰ كما أشار موريس، مما يمنح النص بُعداً دلاليّاً أعمق.

يمكن القول إنّ الألم في رواية بيت خالتي ليس غاية جمالية بحد ذاته، بل وسيلة لفضح الواقع وإعادة بناء الإنسان معنوياً، إنّه ألم كاشف، موثّق ومحرك للقيم، ما يمنح الرواية عمقاً إنسانياً ويجعلها تنتمي إلى الأدب الذي يُعلي من شأن التجربة البشرية في أفسى تجلياتها.

3-3 الصراع:

يعتبر الصراع واحداً من القيم التي حملتها رواية بيت خالتي، ونجد الصراع في الرواية ليس نوعاً واحداً بل هو ألوان وأطياف وأحجام ويتمثل ذلك في وزن الطبيب النفسي الذي كان في صراع دائم مع نفسه بسبب ابن خالته أنس، وكيف أن أنس الابن والشاب المثالي ذو المواقف الوطنية وكيف يرى أنس على أن يزن صطيف الأعمى على حد قولهم. وبعد ذلك عندما وقع بحب نور وكيف كانت تقارنه بأنس حتى وأنس قد مات. حوار الداخلي مع نفسه في الرواية يؤكد لنا على صراع دائم مع نفسه. -"فإذا عدنا إلى دراسة القيم الإنسانية في قصص وروايات نجيب الكيلاني: نجد أنه يقفنا عند ألوان من الصراع المختلفة ومستويات تتفاوت في حجمها وطبيعتها، ولكنها جميعاً وحدتها صراعات تخوضها نماذج إنسانية وتعانيها، فهناك الصراع الذي تخوضه شخصيات واعية ذات إرادة وعزم وتصميم تؤمن بالصراع وسيلة ومنهجاً، وتعرف نهاية طريقها من البداية وهي تعي أخطاره، وهناك الصراع الذي تمليه الظروف وتقرضه الملابس والأوضاع على الشخصية الإنسانية بسبب حاجة ماسة أو فقر ملحد أو عاهة لازمة."²¹

²⁰ حسني إبراهيم عبد العظيم، (10 مارس، 2024)، الألم الإنساني، رؤية مغايرة (1)، موقع معنى (mana.net)، تاريخ الإطلاع 13، مارس 2026

²¹ نصر الدين دلاوي، القيم الإنسانية والجمالية في روايات نجيب كيلاني الصفحة 103، 104

يقول الراوي: "أحد المساجين كان معي على السرير نفسه امتنع عن الطعام لمدة شهر كامل، عاش على الماء كي لا يضطر إلى الذهاب إلى الحمام والمشي على الجثث"²² في هذه الفقرة تكمن قوة الصراع، إذ يتحول الفعل الصامت إلى لغة احتجاجية عميقة، تكشف عن تراجعيا الإنسان حين يُدفع إلى الاختيار بين إنسانيته وبقائه، فالصراع يعبر عن أقصى درجات الانتهاك الإنساني.

3-4 قيمتي العدالة والصبر:

قيمة العدالة: تتجلى في الرواية من خلال مشروع أنس التوثيقي، إذ يمثل توثيق شهادات المعتقلين فعل مطالبة بالعدالة في مواجهة الظلم المنهجي، ويقول الراوي في إحدى الشهادات: "الوطن هو أصدقائي الذين استشهدوا تحت التعذيب"²³.

وهو تعريف يُحيل العدالة من مفهوم قانوني إلى قيمة إنسانية وجدانية.

قيمة الصبر: تتجسد في صمود المعتقلين داخل فضاء السجن، ولعلّ أبلغ تعبير عنها ما رواه أحد المعتقلين من امتناعه عن الطعام شهراً كاملاً رفضاً للمشي على الجثث، وهو صبر لا يعني استسلام بل يحمل دلالة الاحتجاج الصامت على انتهاك الكرامة الإنسانية.

يقول السارد: الجثث مكومة على أرض الحمام، براز ودم وبول مختلط بالجثث وفي مكان يضطر كل المعتقلين إلى الذهاب إليه، بل يضطرون إلى المشي على الجثث، لأنها تملأ أرض الحمام"²⁴

²² أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 286

²³ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 198

²⁴ أحمد خيرى العمري، بيت خالتي، الصفحة 287

الخاتمة:

أثبتت الدراسة أنّ رواية "بيت خالتي" تُقدّم نموذجاً سردياً فريداً في تمثيل القيم الإنسانية، من خلال توظيف الشخصية الرمادية أداةً للكشف عن التوتر الأخلاقي، وشهادات المعتقلين وسيلةً لإعادة إنتاج الألم بوصفه قيمة دلالية، وقيمة حبّ الوطن بُعداً وجدانياً مركباً يتجاوز الانتماء السياسي إلى المسؤولية الإنسانية، فقد استطاع الكاتب أن يوظّف الألم الإنساني بوصفه أداة كاشفة لعمق المعاناة التي يعيشها الفرد في ظلّ واقع قمعي، كما برز الصراع بوصفه آلية فاعلة في التناقضات الإنسانية التي تحكم الوجود الإنساني، وقيمة حب الوطن شكّلت بُعداً إنسانياً مركباً، إذ لم تقدّم انتماء عاطفياً بسيطاً، بل كانت علاقة جدلية تتداخل فيها مشاعر الألم والانتماء، مما منحها عمقاً إنسانياً. وعليه رأت الباحثة أنّ الرواية لم تكتفِ بتصوير المعاناة، بل أسهمت في إعادة تشكيل الوعي الإنساني عبر خطاب سردي يجمع بين البعد الجمالي والوظيفة الأخلاقية، لتصبح نصاً أدبياً قادراً على حفظ الذاكرة ومساءلة الواقع.

نتائج البحث:

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي تكشف البعد الإنساني العميق في الرواية.

- 1- مركزية القيم الإنسانية في الرواية في البناء السردي.
- 2- تداخل القيم وتكاملها: القيم الثلاث (الألم - الصراع - حب الوطن) لا تعمل بشكل منفصل، بل تتداخل لتشكّل منظومة دلالية متكاملة.
- 3- البعد التوثيقي للرواية: أظهرت الدراسة أن الرواية تتجاوز الطابع الفني لتؤدي وظيفة توثيقية، من خلال نقل وتوثيق شهادات المعتقلين مما يمنح النص قيمة إنسانية تاريخية

4-قيمة الرمادي في النص بوصفها منطقة بين الخير والشر ومن خلال ذلك أسهم في تعميق البعد الإنساني وكشف عن هشاشة الإنسان حين يُدفع إلى التكيف مع واقع غير إنساني.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1-أحمد خيرى العمري، (2020)، بيت خالتي، عصير الكتب، الطبعة الأولى

المراجع:

المراجع

- 2-ازهار اسماعيل هاسبيوان. (2022). الوطنية في الرواية رمضان حبيبي لنجيب الكيلاني. جاكارتا: جامعة سونن كاليجاكا.
- 3-حسني إبراهيم عبد العظيم، (10 مارس، 2024)، الألم الإنساني، رؤية مغايرة (1)، موقع معنى (mana.net)، تاريخ الاطلاع، 13، مارس 2026
- 4-عبد الملك مرتاض. (1998). نظرية الرواية . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،
- 5-علاء طالب عبدالله. (بلا تاريخ). علم الاجتماع الأدب جدلية النقد والسوسيولوجيا. الجامعة العراقية \ كلية الآداب.
- 6-علي عبد الأمير عباس. (2008). منهج علم الاجتماع الأدبي عند لوسيان غولدمان. مجلة آداب البصرة جامعة البصرة العراق : العدد 47 .
- 7-فايد محمد، في نظرية الرواية لدى لوسيان غولدمان. .. معهد الآداب واللغات المركز الجامعة تيسمسلت.
- 8-محمد هدى برايوغا. (2018). القيم الاجتماعية في الرواية لنيالي تركستان لنجيب محفوظ. جاكارتا: كلية الدراسات الإسلامية والعربية جاكارتا.
- 9-نصر الدين دلاوي. (2012). القيم الإنسانية والجمالية في قصص نجيب الكيلاني. الجزائر: كلية الآداب.
- 10- أمبارك محمد، سعدي نسيم. (2024). القيم الإنسانية في رواية الإعصار والمئذنة لعماد الدين الخليل. الجزائر: كلية الآداب واللغات